البيوتات العلمية في قسنطينة
البيت الفكوني أنموذجا

SCIENTIFIC HOUSES IN CONSTANTINE
THE ALFAKUNY HOUSE AS A MODEL

Pr. Menaouar AOUAD
University of ALGEIRS 1

الأستاذ: المنور عواد
جامعة الجزائر 1

aouadme@yahoo.fr

استلم:	**2019/02/17**	***Received:***	
قُبل للنشر:	**2020/01/21**	***Accepted:***	

ملخص:

يمثل البيت الفكوني أحد البيوتات العلمية العريقة التي سجلت حضورها في الساحة العلمية والاجتماعية والسياسية لمدينة قسنطينة منذ الفترة الحفصية ثم أثناء الوجود العثماني بالمدينة إلى حين دخولها تحت الاحتلال الفرنسي ما جعل عديد الشخصيات الفكونية ذائعة الصيت نالت حيزا كبيرا من الذكر والبحث في المصادر التاريخية والدراسات الأكاديمية المتخصصة، وتأتي حضوة آل الفكون أيضا من الإنتاج الفكري الذي تركه أبناء البيت في مختلف التخصصات العلمية والشرعية وما مشيخة الإسلام وتولي ركب الحج إلا دليل على التوجه الديني لهذا البيت حيث يتقدمهم الشخصية البارزة في تولي الوظائف الحكومية والشرعية والمكانة الاجتماعية والكتابة والتأليف عبد الكريم الفكون الحفيد، وغيره من الشخصيات الفكونية التي تلته.

الكلمات المفتاحية: البيت الفكوني؛ آل فكون؛ الانتاج الفكري؛ أملاك، مشيخة الإسلام؛ ركب الحج؛ قسنطينة؛ الفترة الحفصية والعثمانية.

Abstract :

The Funky House represents one of the ancient scientific houses that recorded its presence in the scientific, social and political scene of the city of Constantine since the Hafsid period and then during the Ottoman presence in the city until its entry under the French occupation, which made many well-known iconic figures won a large area of mentioning and research in historical sources and specialized academic studies The membership of the Al-Faqun family also comes from the intellectual production that the children of the house left in the various scientific and legal disciplines. The sheikhdom of Islam and taking over the pilgrimage is only evidence of the religious orientation of this house, as the leading figure leads them in assuming Governmental jobs, Sharia, social status, writing, and authorship Abdul Karim Al-Fakoon, the grandson, and the other iconic characters that followed him.

Keywords : *The House of Faqouni, the family of Faqoun, intellectual production, property, the sheikhdom of Islam, the pilgrimage to Hajj, Constantine, the Hafsid and Ottoman period.*

مقدمة:

تعتبر عائلة الفكون من أقدم العائلات في قسنطينة، اشتهرت بالعلم والصلاح والرئاسة قبل الأعمال الحكومية[1]. تنتسب إلى قبيلة تميم العربية إذ يذكرون من أسمائهم هذه النسبة «التميمي» ومن ثم فهي من العائلات العربية العريقة[2]. وإذا عدنا إلى الغبريني نجده قد ذكر عددا منها[3]. كما كان لهذه العائلة مصاهرات مع كبار العائلات الأخرى بقسنطينة أهمها عائلتا ابن باديس وابن نعمون[4]. امتلكت زاوية ومدرسة[5]، وكانت لها أملاك كثيرة، فهي من العائلات الغنية قبل مجيئ العثمانيين، وفي

(1) أبو القاسم سعد الله، (موسوعة أعمال سعد الله) شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون، ط(خاصة)، عالم المعرفة، الجزائر، 2015م، ص37.

(2) نفسه، ص38. هناك رأي آخر في الموضوع لعبد القادر الراشدي (ت1194هـ/1780) والذي تولى وظيفة الفتوى الحنفية في عهد صالح باي، أواخر القرن (12هـ/18م)، في كتابه (عقد اللآلي المستضيفة لنفي ضلام التلبيس) ذكر فيه أن عائلة الفكون ليست شريفة وليست تميمية كما تدعي، ولكنها من قرية (فكونة) الموجودة بمنطقة الأوراس، وهو ما رفضته العائلة، التي أرجعت تواجدها بهذه البلدة إلى استقرار أحد أجدادها بها وهو عبد الرحمان قادما من الجزيرة العربية، فيما استقر الثلاثة الأخرون محي الدين بعين الصفراء، وقيل أن البيض سيدي الشيخ سميت عليه، فيما استقر محمد بقسنطينة، أما الرشيد فقد توفي بمجرد وصوله انظر: حسين بوخلوة، عبد الكريم الفكون حياته آثاره (988-1073هـ/1580-1663م)، أطروحة ماجستير،جامعة وهران، 2009، ص 61.

(3) : الغبريني، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تحقيق رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ص280.

(4) : محمد بن نعمون هو ابن أخت عبد الكريم الفكون الجد الذي رباه، وتولى الفتوى رغم بلادته. وكان أحمد بن باديس متزوجا من أخت والدة الفكون (صاحب منشور الهداية) فهو إذا زوج خالته. ومن جهة أخرى ذكر الفكون أنه هو نفسه قد تزوج ابنة أحمد بن حسين الغربي الذي تولى عدة وظائف شرعية ومخزنية في وقته، وعائلة الغربي من بيوتات قسنطينة أيضا. انظر: سعد الله، عبد الكريم الفكون، ص45.

(5) : دفن بهذه الزاوية عبد الكريم الجد أبو محمد الذي أشار عليه ابنه محمد بدفنه بها فقال إن وجدت هناك موضعا فهو أولى فيسر الله بغيته، وقد ترك آل الفكون لأصهارهم آل نعمون الزاوية بعد أن بنى جد جد عبد الكريم الحفيد المدرسة والتي جددها ووسع منها محمد الفكون. انظر: عبد الكريم ابن الفكون، منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية، (ت 1072هـ/1662م)، تحقيق، أبو القاسم سعد الله، طبعة خاصة، الجزائر، عالم المعرفة، 2015، ص 50.

فترة حكمهم صعدت عائلة الفكون إلى الصف الأول بين العائلات في قسنطينة، بل إلى تقديمها على جميع العائلات الأخرى خلال العهد العثماني[1].

أبرز علماء وأبناء البيت الفكوني:

أبرز علماء البيت الفكوني في الفترة الحفصية		
الاسم	**تاريخ الوفاة**	**ترجمة موجزة**
أبو علي الحسن بن علي بن عمر الفكون	كـــان (حيا 602ه/ 1205م)	هو أقدم شخصية فكونية تذكرها المصادر[2]. شاعر المغرب الأوسط في وقته. كان فقيها وأديبا، عزيز النظم والنثر، له ديوان وهو «موجود بين أيدي الناس ومحبوب بينهم» . اشتهر بقصيدته التي ضمنها رحلته المشهورة من قسنطينة إلى مراكش[3] ذكر فيها المدن التي مر بها، ومدح فيها الخليفة الموحدي بمراكش، وعامله على بجاية.
عبد الرحمان الفكون	عاش في القرن (9ه/ 15م)	لا نعرف تاريخ مولده ووفاته، كما لا نعرف إن كان هو أسبق من محمد شقرون بن حليمة أم العكس، فصاحب **(منشور الهداية)** لم يفصل في أجداده.

(1) : سعد الله، شيخ الاسلام عبد الكريم الفكون، ص 47.

(2) صاحب القصيدة المشهورة: ألا قل للسرّي ابن السرّي أبي البدر الجواد الأريحي. وهي مذكورة عند العبدري، الرحلة، والمقري، نفح الطيب، 241/3. ورواها عباس بن ابراهيم المراكشي، الإعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الأعلام، 138/3. ورواها ايضا أحمد بن قاضي المكناسي، جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام بمدينة فاس، دار المنصورة للطباعة والوراقة، الرباط، 1973، القسم الأول، ص184.

(3) الغبريني، عنوان الدراية، ص280.

محمد شقرون بن حليمة	عاش في القرن(09ه/ 15م)	جد عبد الكريم الحفيد لأمه كان من علماء وصلحاء مدينة قسنطينة، دفن في رحبة البلد المسماة أكدال. يعود إليه الفضل في بناء مدرسة الأسرة الفكونية.
أبو زكريا يحي بن محمد الفكون	توفي (941ه/ 1534م)	كان من العلماء المتقنين، تصدر للإفتاء في زمن مشيخة أكابر، وله اليد الطولى في الفقهيات،وممن يعرف المدّونة[1]. شغل الإمامة بجامع الزيتونة بتونس خلفا للشيخ الزنديوي. تزوج بحفيدة البرزلي وله بنت منها. قتل وهو يروي البخاري في الجامع على أيدي الإسبان، وهو رأس عائلة الفكون مطلع القرن (10ه/ 16م)[2] .

أبرز علماء البيت الفكوني في الفترة العثمانية		
أبو الفضل قاسم بن يحي بن محمد	توفي (965ه/ 1557م)	تبع قاسم الفكون والده يحي الفكون إلى تونس وتولى وظيفة الإمامة بجامع البلاط فيها، وبعد وفاة والده رجع إلى قسنطينة واستقر بها، وتولى وظيفة القضاء للعثمانيين والتي اعتذر عنها عمر الوزان (ت965ه/ 1557م) في رسالته إلى حسن آغا، ومما يؤكد هذا أن حفيده (عبد الكريم الفكون)

(1) يذكر أبو القاسم سعد الله في تحقيقه لمنشور الهداية، أن الشيخ الوادي غير معروف سوى ما ذكره فايسات (روكاي) 290/11، أنه كان حيا سنة (926ه/1520م)، والنسخة التي أخذها من الحاشية يظهر أنها مفقودة. انظر:الفكون، منشور الهداية، ص 41.

(2) بلخوص الدراجي، جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية في بايليك قسنطينة، من خلال نوازل ابن الفكون خلال القرنين (10-11ه/16-17م)، أطروحة ماجستير، جامعة الجزائر، 2012، ص29.

الفكون		ذكر أن جده تولى وظيفة القضاء زمن الوزان بل باقتراح منه[1]. فاق عصره في علم المعقول وتصدى للتفسير زمن مشيخة عصره[2].
أبو محمد عبد الكريم الفكون (الجد).	(ت988ه/ 1580م)	كان عبد الكريم (الجد) إمامًا بالجامع الكبير بقسنطينة وخطيبه، يرجع إلى قوله في النوازل والأحكام، ومن تلاميذ الشيخ الوزان، وكانت له دراية بعلم البيان، تصدى للتدريس، وجدد في أسلوب الخطابة، كثير الحفظ للمسائل والأحاديث، عرض عليه بأن يدفن بجانب قاسم الفكون فقال بأن المكان موحش بسبب تولي أخيه القضاء، ثم دفن بمدرسة عائلة الفكون. يذكر حفيده (**صاحب منشور الهداية**) أنه لما كانت والدته حاملة به سألته الدعاء فقال لها جعل الله عمارة الدار منك[3].
أبو عبد الله محمد الفكون	(ت1045ه/ 1635 م)	كان عالما وفقيها منتهجا منهج الصوفية العباد، اشتهر بتضلعه في الفقه، وكان أهل قسنطينة يرجعون إليه في نوازلهم ومسائلهم الفقهية، ولاه الأتراك جميع وظائف والده (خطبة، وإمامة الجامع الأعظم)، توفي في طريق العودة من

(1) سعد الله، شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون، ص 40.
(2) الفكون، منشور الهداية، ص43-44.
(3) الفكون، منشور الهداية، ص48-51.

بن عبد الكريم (الجد)		الحج، ودفن «بالمويلح» الرصيف البحري الحجازي المقابل لمصر، وقد زار العياشي قبره[1].
علي بن عبد الكريم (الجد)	غير معروف	كان من البُلْهِ وصلحاء أهل زمنه.
أبو محمد عبد الكريم الفكون	ولد (988ه/ 1580م) وهي سنة وفاة جده (بعد أربعة أشهر) حمل	شيخ الإسلام[2]، الذي مثل أهم شخصية فكونية نظرا لتوليه إمارة ركب الحج[3]، وإمامة وخطابة الجامع الكبير بقسنطينة، ومنصب مشيخة الإسلام[4]، وما تركه من تآليف ومصنفات حفظت تاريخ عائلته، وشكلت مصدرا

(1) العياشي، الرحلة، 170/1.

(2) لم يكن لقبا يمنح بأمر أو مرسوم، ولكنها تذكر عند الخطاب بالتجلة والاحترام ثم تصبح عادة. انظر: سعد الله، عبد الكريم الفكون، ص 83.

(3) إمارة ركب الحج بقيت في عائلة عبد المؤمن إلى حوالي قرن من وجود العثمانيين، لكن بعض الكتابات الفرنسية أخلطت في هذه القضية فذهب (ميرسييه) إلى أن أول أمير لركب الحج هو عبد الكريم الجد، والتحقيق أن إمارة ركب الحج في عائلة الفكون ابتدأت مع عبد الكريم الحفيد. انظر: سعد الله، عبد الكريم الفكون، ص48-49-50.

(4) يبدو أن التلقيب بها قد ارتبط بإمارة ركب الحج. ونحن لا نملك تاريخا محددا استعمل فيه الناس أو السلطة هذا التعبير المميز. انظر: سعد الله، عبد الكريم الفكون، ص 83.

(الحفيد)	اسمه(ت1073ه/ 1662م)	هاما عن مجتمع قسنطينة في القرنين (10-11ه/ 16-17م)[1].
محمد بن عبد الكريم (الحفيد)	(ت 1114ه/ 1702م)	كان عالما من فقهاء المالكية تولى جميع وظائف والده، من خطبة وإمامة الجامع الأعظم وركب الحج، سنة (1047هو1075ه). ليس له تأليف ولم تكن مواقف بارزة كأبيه.
بدر الدين بن محمد الفكون.	(ت1143ه/ 1730 م)	خلف والده في كل وظائفه سنة (1114ه/ 1605م). شرح رسالة الإمام جمال الدين المرديني في علم الفلك، وهو مخطوط بالمكتبة الوطنية بالجزائر.
عبد الرحمان الفكون	برز في عهد صالح باي (1208ه/ 1793م)	تقول الأخبار أنه سحب حمايته عن صالح باي بجذب برنسه عنه (الموافقة على تنفيذ الحكم) بعد أن حاول التمرد على السلطة المركزية التي حكمت عليه بالموت سنة (1208ه/ 1793م).
محمد الفكون (سيدي	عاصر أحمد باي سنة (1246ه/ 1830م)	كانت له علاقة طيبة مع الحاج أحمد باي حيث وقف معه ضد الفرنسيين سنة (1246ه/ 1830م).

(1) نفسه، ص21.

الشيخ).		

أبرز علماء البيت الفكوني في عهد الاستعمار الفرنسي

حمودة بن الشيخ محمد الفكون	عاش مرحلة الاحتلال الفرنسي لقسنطينة (1252ه/ 1837م)	عينه الفرنسيون شيخ البلاد لقسنطينة في وظيفة رئيس بلديتها نتيجة كبر والده، ليلغي الفرنسيون بعدها وظيفة شيخ الإسلام التي تمتع بها آل الفكون، وألغوا أيضا وظيفة شيخ البلاد. وقد تم طرد حمودة وأحمد الفكون إلى الاسكندرية بسبب التآمر ومعارضة الأوامر الفرنسية سنة (1257ه/ 1842م).
محمد حفيد حمودة الفكون.	غير معروف	عينه جول كامبون في المجلس العام بقسنطينة سنة (1313ه/ 1896م) بالمجلس العام خلفا لسليمان بن عيسى حفيد ابن عيسى قائد جيش الحاج أحمد باي، لأن كامبون كان يرى بأن عائلة الفكون نظيفة و»انحنت أمام حضارتنا».

مكانة عائلة الفكون السياسية.

رغم عزوف عائلة الفكون عن المناصب السياسية الرفيعة، إلا أن دورها السياسي كان مهما، منذ دخول العثمانيين مدينة قسنطينة، فقد كان هؤلاء يبحثون كأي سلطة جديدة على الأنصار من أصحاب النفوذ الروحي والمادي. فوقع تحول في مراكز هذا النفوذ من عائلة إلى أخرى، وأصبحت عائلة الفكون سيما في عهد عبد الكريم (**الحفيد**) في قمة مجدها روحيا وماديا[1].

(1) : سعد الله، عبد الكريم الفكون، ص 53.

لقد ترجم عبد الكريم الفكون في (**منشور الهداية**) لبعض أجداده الذين عاشوا أثناء الحكم الحفصي لمدينة قسنطينة، ولم يذكر لهم أي مشاركات أو مساهمات سياسية. منهم الجد عبد الرحمان، ومحمد شقرون بن حليمة (جده لأمه)، وأبو زكريا يحي الفكون الذي قيل أنه التقى خير الدين بتونس[1].

يعقب يحي الفكون ولده قاسم الذي عاش نهاية الحكم الحفصي لقسنطينة، ثم مرحلة انتقالها إلى الحكم العثماني، حيث شكل الاستثناء في تاريخ عائلة الفكون الطويل بتولي منصب القضاء للعثمانيين، وهي أول مشاركة سياسية مباشر لآل الفكون[2].

وضع العثمانيون حامية على مدينة قسنطينة بقيادة يوسف وحث خير الدين قائد الحامية على تحسين علاقاته بالسكان، خاصة وأن قسنطينة يصعب تموينها من البحر، ويتحتم تموينها عبر الأسواق المحلية، لذا ربط يوسف علاقة جيدة مع الشيخ الفكون (الجد أبو محمد) الذي مكنه من الاتصال بأولاد يعقوب الذواودة الذين يتحكمون بمناطق واسعة بقسنطينة، حيث تعهدوا بتزويد الأتراك بالمؤن مقابل الحصول على البارود[3].

وبعد انسحاب خير الدين من تونس عقب استنجاد الحسن بن عبد الله الحفصي الذي حكم من (932-942ه/ 1525-1535م) بشارلكان سنة (941ه/ 1534م) حيث عرجت قواته على قسنطينة

(1) : عبد الكريم الفكون، منشور الهداية، ص50. لكن الفكون لم يفصل في أجداده. فلا نعلم الأول في الترتيب: عبد الرحمان أو محمد شقرون، ولا نعرف تواريخ حياتهما. ولعله هو أيضا لم يكن يعرف ذلك.انظر: سعد الله، عبد الكريم الفكون، ص39.

(2) : سعد الله، عبد الكريم الفكون، ص 40.

(3) : حسين بوخلوة، عبد الكريم الفكون حياته آثاره، ص04.

لكنها منعت من الدخول فتدخل القائد يوسف والشيخ الفكون (عبد الكريم الجد) وأقنعوا الجيش بالتمركز خارج المدينة والحصول على ما يكفيهم من المؤن[1].

لقد وجد الفكون عبد الكريم (**الجد**) في زمن مخضرم ومضطرب عرفته قسنطينة عند انتقالها من إدارة حفصية إلى إدارة عثمانية، حيث أخذت فيها الأمور تستتب في المدينة وإعلان الطاعة لحكومة الجزائر المركزية يتضح. لكن الحياة السياسية لم تتركه. فقد تعرض هذا الجد للخطر أثناء فتنة قسنطينة سنة (975ه/ 1567م) حين وجهه أهل البلد (قسنطينة) وصحبه أبو محمد عبد اللطيف المسبح في سفارة لمحروسة الجزائر دار سلطنتها (الباشا محمد بن صالح ريس) للصلح، وبعد أن فرح بهم الأمير وأحلهم دار الكرامة، آتاهم الخبر بما أحدثه أهل البلدة بعدهم من خلع للبيعة ففروا من دار السلطنة قاصدين زواوة (المنطقة الجبلية بين وادي يسر وبجاية) فبعث في أثرهم (الباشا) فسجنهم، ثم تبصر فلم ير لهم وجها يوجب ذلك أطلق سبيلهم[2]. وبالرغم من الدور السياسي الذي قام به عبد الكريم الفكون (**الجد**) إلا أنه لم يشغل منصبا إداريا ولم يسع لذلك بالرغم من تعامله مع العثمانيين وقربه منهم، فقد كان يتحسس من تولي الوظائف لهم خاصة وظيفة القضاء، إذ يذكر أنه لما حضرته الوفاة اقترح عليه مكان دفنه منها موضع به أخوه قاسم الفكون، فرفضه وقال» إنه موحش ثقيل، إن سيدي كان قاضيا و لا أحب الدفن هناك»[3].

وبعدها أصبحت عائلة الفكون خصوصا في عهد عبد الكريم (**الحفيد**) تتدخل في الشؤون السياسية متى تعلقت بالأمن العام والصالح العام، من ذلك أن الفكون اقترح على السلطة المركزية في

(1) : حسين بوخلوة، عبد الكريم الفكون حياته آثاره، ص04.
(2) : الفكون، منشور الهداية، ص 48.
(3) : نفسه، ص 50.

الجزائر اسم الباي الجديد (فرحات باي) بعد وقوفه ضد ثورة شيخ العرب أحمد بن الصخري سنة (1047ه/ 1637م) فقبلت اقتراحه. وبعد تولى الباي منصبه سنة (1057هـ/ 1647م) تحالف مع الفكون لمدة تصل إلى ستة عشر سنة مرت فيها قسنطينة باستقرار لم تشهده من قبل[1].

تقلدت عائلة الفكون منصب مشيخة الإسلام، (مع عبد الكريم الحفيد) هذا المنصب الذي كان بحوزة مفتي الحنفية فقط دون غيره، وحصول آل الفكون على هذا المنصب دلالة على مكانتها الدينية والاجتماعية وحتى السياسية، ويتواصل هذا الدور حتى بعد وفاة الفكون (**الحفيد**)، فقد تدخل **عبد الرحمان الفكون** الذي حضر مقتل صالح باي عندما أراد هذا الأخير الاستقلال عن السلطات المركزية في الجزائر وانقسم الرأي العام بين موال لصالح باي وبين وموال للباي الجديد حسين باي، فقد استدعاه لداره ووعده بالحماية لكن ما إن وصل صالح باي إلى الدار حتى ألقي عليه القبض وأعدم[2].

ومن الأدوار السياسية أيضا تدخل محمد الفكون الذي توفي عام (1256ه/ 1841م) وهو آخر شيوخ الإسلام في عهد شاكر باي الذي أراد الاستقلال بدوره عن السلطات المركزية، وأراد التحصن ببيت الفكون ولكن هذا الأخير سلمه للباي الجديد وتم قتله[3]، كما نجح هذا الشيخ بالتصدي للثورة الانكشارية بزعامة أحمد شاوش ضد الباي بن يوسف عام (1223ه/ 1809م) فقد أرسل إلى الباشا في العاصمة يخبره بأن أحمد شاوش قتل الباي ويريد مهاجمة الجزائر فطلب منه الباشا قتل كل الانكشارية، لكن شيخ الإسلام رفض ودعاه إلى استعطافه والعفو عنه، وهو ما فعلته السلطات المركزية[4].

---

(1) : سعد الله، عبد الكريم الفكون، ص54.
(2) : حسين بوخلوة، عبد الكريم الفكون حياته آثاره، ص65.
(3) : نفسه، ص65.
(4) : نفسه، ص 65.

أملاك عائلة الفكون ومكانتها الاجتماعية

كان مجتمع قسنطينة مجتمعا متماسكا بفضل العائلات الكبيرة التي عملت على تنظيم العلاقات العامة ووضع شروط المعاملات، ومباركة النظام الإداري للمدينة، وتنشيط الحياة الاقتصادية، ومواجهة الأزمات الكبرى كالطواعين والجوائح. ومع أن المدينة كانت مقسمة إلى أحياء منها حي الجابية وحي البطحاء، ووجود تنافس بين العائلات الكبرى حول المجد والرئاسة والثروة والجاه إلا أنه لم يصل إلى درجة التحارب والقول بأن عائلات قسنطينة انقسمت بمجيئ العثمانيين إلى فريقين فريق بزعامة عائلة ابن عبد المؤمن، وفريق بزعامة عائلة الفكون قول لا تؤكده الوثائق[1]. فعائلة ابن عبد المؤمن ضعفت وتراجع دورها بينما ارتفعت حظوظ عائلة الفكون، أثناء الحكم العثماني.

لقد كان لامتلاك عائلة الفكون لزاوية ومدرسة بقسنطينة، دورا كبيرا فيما وصلت إليه العائلة خاصة في الجانب الروحي والديني بين السكان، بالإضافة إلى تولي العائلة مهمة ركب الحج [2] الذي كان له الأثر الكبير في كبر شأن هذه العائلة في بابليك قسنطينة وإنما تعداه لتصبح من أشهر العائلات في العالم العربي خاصة بالمناطق التي تمر بها قافلة الحج. وكنتيجة حتمية لهذه المكانة أصبحت كلمة العائلة مسموعة بقسنطينة وخاصة بالناحية العليا للمدينة أو ما يعرف بحومة البطحاء حيث أصبح يعرف هذا الحي باسم أولاد سيدي الشيخ. والأكثر من هذا أصبح للعائلة حق الحماية في منزلها أو غيره، فكل من كان يحتمي بآل الفكون لا يجوز التعرض له[3].

(1) سعد الله، عبد الكريم الفكون، ص23.

(2) إمارة ركب الحج لم تمنح إلا لعبد الكريم الفكون الحفيد، فهو لم يذكر هذه المهمة مقرونة باسم جده ولا والده حين ترجم لهما.انظر:سعد الله، عبد الكريم الفكون، ص47.

(3) نفسه، 75-76.

أما فيما يخص الجانب الاقتصادي أو المالي فإن عائلة الفكون كانت من أغنى العائلات بمدينة قسنطينة وهذا الغنى لم يكن مرتبطا بالفترة العثمانية وإنما يعود الى ما قبل دخول الأتراك قسنطينة، لتزداد ثروة العائلة خلال العهد العثماني وهذا نتيجة للامتيازات التي استفادت منها[1].

أهم مصدر لثروة آل الفكون أوقاف الجامع الكبير بقسنطينة وحصولها على فائض هذه الأوقاف، الذي كانوا يتولون فيه الإمامة والخطابة[2] منذ القرن (10ه/ 16م)، وكذا امتلاكها لعدد هائل من العقارات والأراضي بقسنطينة وإعفائها من كل الضرائب والرسوم داخل المدينة أو خارجها، كما مس الإعفاء خدم العائلة ورعاتها.

كما استفادت العائلة أيضا من فوائد سوق الفواكه والخضر، وأخذت العشر عن الزرابي والخشب المجلوب من الأوراس وحصلت على الهدايا والعطايا العقارية وغيرها[3].

حقيقة أن ثروة عائلة الفكون قد زادت، وأن جاهها قد ازداد علوا في نظر النّاس، نتيجة الوظائف الجديدة. ذلك أنها بالإضافة إلى أوقاف الجامع الكبير كانت تحكم بما تراه صالحا في الأمور العامة. ولا أحد يعترض عليها بما في ذلك موظفو الجامع والقضاة ولا حتى ممثل الباي، وكان التمتع بهذه الامتيازات يصدر من باشوات الجزائر ومن بايات قسنطينة معا. وظلت عائلة الفكون تتوارث الوظائف المذكورة أبا عن جد وابنا عن أب إلى احتلال قسنطينة من طرف الفرنسيين[4].

(1) نفسه، 46.

(2) ظلت أسرة الفكون تتوارث هذه الوظائف بعد ذلك إمامة وخطابة الجامع الكبير، وإمارة ركب الحج، ولقب شيخ الإسلام إلى الاحتلال الفرنسي في حدود سنة (1253ه/1838م).انظر: سعد الله، عبد الكريم الفكون، ص52.

(3) سعد الله، عبد الكريم الفكون، 75-76.

(4) سعد الله، عبد الكريم الفكون، ص 54-55.

الإنتاج الفكري لعائلة الفكون

اهتمت عائلة الفكون بالتأليف والتصنيف وتركت لنا عديد المؤلفات في فروع علمية مختلفة. فاهتمام أبناء البيت الفكوني بالاشتغال بالعلم وتوراث ذلك أبا عند جد وإبنا عن أب، مكنها من بلوغ مصاف العائلات العلمية الكبرى في مدينة قسنطينة، وأصبحت لها اليد الطولى في الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية لمجتمع المدينة وهو ما ميز العائلة ورفع من شأنها إذ السلطة الدينية التي اكتسبتها كان لها دورها في بلوغ آل الفكون الرئاسة، وتوارث أبنائها المجد والسؤدد.

بالرجوع إلى ما تركته العائلة من كتابات ومؤلفات المخطوط منها والمطبوع والمفقود نجد غياب انتاج أبناء البيت الفكوني الأوائل الذين أسسوا للإرث العلمي للعائلة، ونقلت تراجمهم تفوقهم في بعض العلوم، وتصدرهم الفتوى والتدريس إلا أن مؤلفاتهم المذكورة تبقى مفقودة لم يصلنا منها إلا القليل.

مؤلفات ومصنفات عائلة الفكون:

أولا العلوم الدينية:

1-في الفقه والعقيدة.

مخطوط:

أبو محمد عبد الكريم الفكون (الحفيد) (ت1073ه/ 1662م).

-محدد السنان في نحور إخوان الدخان» انتهى منه سنة (1025ه/ 1615م) رد فيه على دعاة حلِّيَّة تناول الدخان، وعلى رأسهم الشيخ علي الأجهوري المالكي (ت1066ه/ 1655م)في كتابه «غاية البيان لحل ما يغيب العقل من الدخان» ، وناقش بالحجج آراء المخالفين، وانتهى إلى تحريمه.ويمكن اعتبار محدد السنان مصدرا للحياة الاجتماعية بقسنطينة خلال القرن (11ه/ 17م) فقد ذم المؤلف في خاتمة كتابه أعيان حضر المدينة بسبب بعض مظاهرهم السلبية كتناول الدخان .

-نظم الدرر في شرح المختصر». والمقصود به «مختصر» عبد الرحمن الأخضري الجزائري في الفقه. ضمنه بعض الأراء التي لا أصل لها في الإسلام والتي جاء بها محمد السوسي .

مفقود:

أبو محمد عبد الكريم الفكون (الحفيد) (ت1073ه/ 1662م).

-شرح على إضاءة الدجنة في عقائد أهل السنة» يقول سعد الله لا نؤكد أنه ألفه، ولكنه وعد به صاحبه أحمد المقري في رسالة بعثها إليه سنة (1038ه/ 1628م)، ومعروف أن إضاءة الدجنة من تأليف أحمد المقري وهي في علم الكلام .

أبو زكريا يحي بن محمد الفكون (ت941ه/ 1534م) .

-حاشية على المدونة في الفقه المالكي .

2-في القراءات.

مخطوط:

أبو محمد عبد الكريم الفكون (الحفيد) (ت1073ه/ 1662م).

-فتح الهادي في شرح جمل المجرادي» لم يذكره الفكون في كتبه، وقد يكون ألفه بعد (1048ه/ 1638م) ذكره فايسات على أنه شرح على جمل المجرادي . و» مخارج الحروف من الشاطبية» في القراءات، ذكره له العياشي في رحلته .

-سربال الردة في من جعل السبعين لرواة الإقراء عدة» وهو كراسة في واقعة وقعت له مع أحد معاصريه، وهو أحمد بن حسن الغربي (ت1030ه/ 1620م) .

ثانيا العلوم الاجتماعية والانسانية:

1-في التراجم

مطبوع:

أبو محمد عبد الكريم الفكون (الحفيد) (ت1073ه/ 1662م).

-منشور الهداية في كشف حال من ادَّعى العلم والولاية» ، ضمنه مجموعة من التراجم بلغت 80 ترجمة لعلماء قسنطينة وناحيتها في القرنين (10-11ه/ 16-17م)، سجلها على مراحل مما جعلها

قد تقصر أو تطول، ولا تخلو من التكرار والاستطراد وتداخل التواريخ، وقد انتهج فيها طريقة خاصة، تتضمن أخبارا لطبقة وأراء شخصية صريحة تسببت له بعد ذلك في مضايقات ومشاحنات، كما لم يقصد بالتراجم التعريف بمناقب المترجم لهم، و إنما أراد به نقد أحوال أدعياء العلم والتصوف – من الطائفتين – في وقته، وقد أفصح عن هدفه من التأليف بقوله: «والبر بتأليفه أردت وإرشاد الأمة ونصحها قصدته . انتهى من تأليفه بعد سنة (1045ه/ 1635م)، وهو سجل هام عن مجتمع قسنطينة وما يتصل بالحياة الثقافية والسياسية والاجتماعية كنفوذ العائلات التي توارثت العلم واشتهرت بالتصوف، وتأثيرها على واقع الثقافة خلال الفترة العثمانية .

2-في اللغة والنحو والصرف.

مخطوط.

أبو محمد عبد الكريم الفكون (الحفيد) (ت1073ه/ 1662م).

-فتح اللطيف في شرح أرجوزة المكودي الفاسي (ت807ه/ 1404م) في التصريف « لأبي زيد عبد الرحمان بن علي ابن صالح المكودي. ألفه عبد الكريم شرحا له بطلب من بعض الطلبة في أوائل صفر سنة (1048ه/ 1638م) ـ، وقد كان متوليا لوظيفة ركب الحج في هذه السنة مما أشغله عن التدريس وضاق وقته. مدح العياشي الكتاب واعتبره أفضل من غيره في بابه، وفيه أخبار عن حياة المؤلف النفسية والوظيفية، وتاريخ تأليف (منشور الهداية)، وردود فعل أهل العصر على الكتاب، الذي أشار فيه إلى كتاب أخر له (فتح المالك) في النحو، وذكر فيه كلاما نفيسا عن ضعف صنعة التأليف في عصره .

-فتح المالك» أشار إليه عدة مرات في كتابه فتح اللطيف مما يدل على أنه ألف قبل سنة (1048ه/ 1638م) والظاهر أنه شرح على لامية ابن مالك في التصريف، ولم يشر العياشي أو الثعالبي إلى هذا الكتاب ، ويبدو أنه في علم النحو وهو الذي برع فيه الفكون وأحبه، وهو مؤلف قبل» فتح اللطيف» وبعد «منشور الهداية» .

-فتح المولى في شرح شواهد الشريف بن يعلى . التزم فيه عقب كل شاهد ذكر حديث مناسب للشاهد معنا وإعرابا، وقد أشار إلى وجود هذا الكتاب كل من العياشي والثعالبي، ولم يشر إليه الفكون نفسه في كتبه .

مفقود:

أبو الفضل قاسم بن يحي بن محمد الفكون (ت965ه/ 1557م)

-تقاييد على أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك . وهي بعض كراريس على توضيح جمال الدين بن هشام الأنصاري (ت761ه/ 1359م) في مؤلفه « أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك»، وبه تعاليق رائقة جمعها من عدة علوم وتصانيف شتى.

أبو محمد عبد الكريم الفكون (الجد).

-تقييد حول المطول في البلاغة . جمع فيه الآي القرآنية التي استشهد بها سعد الدين التفتزاني (ت793ه/ 1390م) في المطول (وهو كتاب في البلاغة)، وليس له مؤلفات، كما لا نعلم عن هذا التقييد من خلال ترجمته في منشور الهداية شيء.

3-في المديح النبوي والشعر والرسائل.

المخطوط:

أبو محمد عبد الكريم الفكون (الحفيد) (ت1073ه/ 1662م).

-ديوان شعري سماه مؤلفه قصائد، وأطلق عليه العياشي اسم الديوان، نظمه الفكون في المديح النبوي تحت ضغط المرض الذي ألمّ به، وقد أنهى قصائده بالتوسل وطلب الشفاء واصفا حالته العليلة. انتهى منه بعد أن خف عنه المرض سنة (1031ه/ 1621م) . نقل العياشي من هذا الديوان نحو مائة بيت في رحلته .

-شافية الأمراض فيمن التجأ إلى الله بلا اعتراض « أو « العدة في عقب الفرج بعد الشّدة»، و هو نظم في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم، وأصحابه والتابعين والفقهاء والأولياء (رضي الله عنهم) .

أبو علي حسن بن علي بن عمر بن الفكون القسنطيني.

-قصيدة في وصف رحلة . وهي قصيدة ضمنها رحلته المشهورة من قسنطينة إلى مراكش ذكر فيها المدن التي مر بها، ومدح فيها الخليفة الموحدي بمراكش.

أبو محمد عبد الكريم الفكون (الحفيد) (ت1073ه/ 1662م).

-سلاح الذليل في دفع الباغي المستطيل» . نظمه للتنفيس عن كرب الدنيا.

-مجموعة خطب: أشار إليها في منشور الهداية عند الحديث عن الخطبة التي كتبها لأحد معاصريه ، وهو أحمد بن باديس .

4-في النوازل الفقهية.

مخطوط

أبو محمد عبد الكريم الفكون (الحفيد) (ت1073ه/ 1662م)

-نوازل الفكون: (نوازل قسنطينة) وهو أهم مصدر إلى جانب « منشور الهداية» للتأريخ لعائلة الفكون، ودراسة الحراك الثقافي للمجتمع القسنطيني في القرنين (10-11ه/ 16-17م)، حظي مخطوط نوازل الفكون، باهتمام الباحثين، وقد أعد للنشر بمناسبة قسنطينة عاصمة للثقافة العربية تحت رعاية وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، وهو مخطوط عائلي . احتوى المخطوط على (350) نازلة أجاب عنها عدد هائل من العلماء منهم المحليون والمغاربة والمشارقة. 15%من العلماء أجابوا على 68 % من الأسئلة. وجلهم من قسنطينة مما يدعم وصفها بنوازل قسنطينة بحق؛ كما كانت لعائلة الفكون الريادة فيها بالإجابة على ربع المسائل، وقد شملت مختلف جوانب الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية . جمعها محمد بن عبد الكريم بن محمد ابن عبد الكريم الفكون (ت1114ه/ 1702م).

-تقييد في كرامات الشيخ عمر الوزان. أشار إليه في منشور الهداية غير أنه لم يذكر أنه ألفه وإنما تمنى على الله أن يقوم بذلك .

-هناك تقييد آخر أيضا يقع في كراسة أشار إليه، وإلى مناسبته ، وقد أخبر عن مناسبة التأليف أن الشيخ يحي بن محجوبة الذي كان من جيل جده ووالده عزم على فسخ حبس تقربا لقائد قسنطينة عندئذ، محمد بن فرحات فنازعه والد الفكون والشيخ التواتي وغيرهما في ذلك ولكنه لم يقبل منه،

فألف الفكون تأليفه المذكور ولكنه لم يخبرنا ما إذا كان قد انتصر على ابن محجوبة فلم يفسخ الحبس أم لا .

هذه أسماء مؤلفاته الموجودة ذكرها الفكون (عبد الكريم الحفيد) بنفسه أو نسبها إليه تلاميذه كالعياشي والثعالبي. وقد يكون له غيرها من القصائد والرسائل والتقاييد والكتب. وقد اطلع سعد الله على محدد السنان، والديوان، ومنشور الهداية، وفتح اللطيف، وعسى أن تكشف الأيام عن بقية كتب الفكون أو بعضها للتعرف على شخصيته وآراءه واهتماماته .

ويكاد الصمت يخيم على نشاط هذه العائلة في القرن (12ه/ 18م) لولا ظهور عبد الرحمان الفكون في عهد صالح باي سنة (1208ه/ 1793م) .ثم ظهور آخر أسماء الفكون عند احتلال قسنطينة وهو الشيخ محمد الفكون الذي كان على علاقة طيبة مع الحاج أحمد باي آخر البايات. وغداة الإحتلال عين الفرنسيون ابنه الشاب حمودة الفكون ليكون شيخ البلاد، وفي سنة (1253ه/ 1838م) ألغى الفرنسيون وظيفة شيخ الإسلام، ووظيفة شيخ البلاد أو رئيس البلدية، وبذلك أسدل الفرنسيون الستار مؤقتا على نفوذ عائلة آل الفكون بقسنطينة .

لقد تراجع دور عائلة الفكون العلمي في أواخر العهد العثماني خصوصا وظيفة الزاوية كمنارة للفقه المالكي والتصوف وفق الطريقتين الشاذلية والزروقية قياسا بنشاط علمائها في القرنين (10-11/ 16-17م). عرفت عائلة الفكون حظوظا جديدة في العهد الفرنسي ثم اسقطت من الحساب لما أزال الفرنسيون لقب شيخ الإسلام، وأخذوا أوقاف العائلة ومصادرها المالية، وعزلوا حمودة الفكون وطاردوه ونفوه .

لقد كما كان لعائلة الفكون مكتبة خاصة عامرة احتوت على ألاف المخطوطات النفيسة ضاعت بسبب التقلبات، فبينما كان حمودة الفكون يحتج أمام المحكمة ناحية كدية عاتي (ملك للعائلة بها مقبرتهم) قام الفرنسيون بحجز مجموعة المكتبة التي كانت تقدر بأربعة آلاف مخطوطة باعوها في المزاد بأثمان بخسة. ففي سنة (1309ه/ 1892م) كتب المستشرق فانيان كلمة مؤثر عن ضياع مكتبة شيخ الإسلام الفكون وقال إن أحد الدائنين باعها بطريقة وزن الورق القديم، وبيع كيس مليء بثلاثين فرنكا، وأما الباقي فبيع لأول قادم .

من خلال عرض مختلف مؤلفات عائلة الفكون نجد أن آل الفكون الأوائل أجداد شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون الحفيد لم يصلنا من مؤلفاتهم غير قصيدة أبو علي الحسن الفكوني، وبخصوص باقي المؤلفات فتنحصر في شيخ الإسلام الفكون (الحفيد) حيث تنوعت مؤلفاته بين كتب وشروح فقهية، ومؤلفات نحوية وديوان شعر وقصائد أغلبها مخطوط، لنخلص في الأخير إلى نوازل الفكون التي جمعها محمد بن عبد الكريم الفكون الحفيد.

إن أوثق كتاب تركته عائلة الفكون هو « منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية» الذي حققه أبو القاسم سعد الله (رحمه الله) يليه من حيث القيمة نوازل الفكون أو نوازل قسنطينة في انتظار تحقيق مخطوطات أخرى للتعرف على الانتاج المعرفي لهذه العائلة العلمية العريقة.

□

خاتمة:

تساهم دراسة تاريخ وانتاج العائلات العلمية بقسنطينة خصوصا عائلة الفكون التي تصدرت المشهد العلمي، وكذا مشاركتها السياسية نتيجة مكانتها الاجتماعية في بناء التاريخ المحلي للمدينة وعليه يمكن ترتيب النتائج التالية بعد تتبع تاريخ العائلة وانتاجها الفكري:

1-عائلة الفكون العلمية كانت اكثر ظهورا ومساهمة في المجال السياسي بحكم وضعها الاجتماعي

2-اشراف عائلة الفكون على ركب الحج اعطى لها صورة دينية رفيعة

3-تولي ابناء البيت الفكوني بشكل متعاقب للخطابة والتدريس في المسجد الاعظم (الكبير) جعلها من العائلات العلمية التي حافظت على تراث وجهود علمائها.

4-تولي بعض ابناء البيت الفكوني للمناصب الحكومية في الفترة الحفصية والعثمانية ثم الفرنسية دليل على المكانة الاجتماعية الكبيرة للعائلة.

5-عبد الكريم الفكون الحفيد أشهر شخصية فكونية شغلت منصب مشيخة الاسلام، وكان له انتاج فكري متميز كما ونوعا.

6-يحتاج انتاج عائلة الفكون إلى احصاء ودراسة خصوصا المؤلفات الموجودة عند احفاء العائلة.

7-احياء تاريخ العائلة، هو احياء لتاريخ المدينة الفاعلة في فترتها الوسيطة والحديثة.

قائمة المصادر والمراجع

1. الإعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الأعلام، السملالي العباس بن إبراهيم، ط2، 1993، المطبعة الملكية، الرباط.
2. تاريخ الجزائر الثقافي، سعد الله أبو القاسم، ط1، 1998، دار الغرب الإسلامي، بيروت.
3. تعريف الخلف برجال السلف، الحفناوي أبو القاسم محمد، 1906، بيير فونتانة الشرقية، الجزائر.
4. جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام بمدينة فاس، المطناسي احمد بن قاضي، 1973، دار المنصورة للطباعة والوراقة، الرباط.
5. جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية في بايليك قسنطينة، من خلال نوازل ابن الفكون خلال القرنين (10-11ه/ 16-17م)، الدراجي بلخوص، رسالة، ماجستير، بإشراف مختاري حساني، قسم التاريخ، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية،جامعة الجزائر، 2012.
6. رحلة العبدري، العبدري أبو عبد الله، تحقيق، علي ابراهيم كروي، ط2، 2005، دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق.
7. الرحلة العياشي، العياشي، عبد الله بن محمد، تحقيق سليمان الفاضلي، وسليمان القرشي، ط1، 2006، دار السويدي للنشر والتوزيع، أبوظبي.
8. شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون داعية السلفية، سعد الله أبو القاسم، ط(خاصة)، 2015، عالم المعرفة، الجزائر.
9. عبد الكريم الفكون حياته آثاره (988-1073ه/ 1580-1663م)، بوخلوة حسين، رسالة ماجستير،جامعة وهران، 2009، باشراف سلطاني الجيلالي، قسم الحضارة الإسلامية، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة السانية وهران، 2009.
10. العدول وسجلات الفكون نوازل، كتاب من التراث القسنطيني المخطوط، فاطمة الزهراء قشي، قسنطينة، عاصمة الثّقافة العربية 2015 .
11. عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، الغبريني أبو العباس ، تحقيق رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر.
12. منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية، (ت 1072ه/ 1662م)، ابن الفكون عبد الكريم، تحقيق، أبو القاسم سعد الله، طبعة خاصة، 2015، عالم المعرفة، الجزائر.
13. نفح الطيب، المقري أحمد بن محمد، تحقيق إحسان عباس، 1988، دار طادر بيروت.